القصدية مبحث فلسفي تداولي: من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام.
"جون سيرل نموذجا".

د. هشام صويلح
جامعة سكيكدة

- ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى كشف النقاب عن أهمية القصدية "intentionality " في فلسفة العقل، ومدى إمكانية توظيف بعض مفاهيمها وأفكارها في الدرس التداولي، ومن ثمة الاستفادة منها في تحليل بعض المقولات الخطابية، وبخاصة أفعال الكلام.

وقد اخترنا أن ندرس القصدية باعتبارها مبحثا فلسفيا وتداوليا ضمن أعمال الفيلسوف اللغوي التحليلي "جون سيرل John Searl"، لكونه من أبرز الفلاسفة في هذا العصر، وفي العصور التي سبقته، انشغالا بالقصدية، تفكيرا، وتأليفا، واحتجاجا لآرائه المخالفة للتقاليد الفلسفية السابقة. كما يعد من أهم الفلاسفة الذين منحوا القصدية بعدا تداوليا، من خلال اهتمامه بقدرة العقل على تمثيل الواقع، وربطه للفعل الانجازي في نظرية أفعال الكلام بالقصد.

وتجدر الإشارة، إلى أن اقتصار هذه الدراسة على عرض ما جاء عند سيرل، لا ينفي جهود باحثين آخرين اهتموا بدراسة النظرية القصدية، فلاسفة ولغويين وأصوليين، قديما وحديثا، غربيين وعرب. كما لا ينفي وجود وجهات نظر أخرى (فلسفية ولغوية وأصولية) مخالفة لآراء سيرل.

مقدمة:

تؤدي اللغة وظيفتها الجوهرية في الخطاب، عندما ترتبط بمقاصد المتكلم/الكاتب؛ أي بعدما يُحَمِّلُها بالأغراض والأفكار والمعتقدات التي يسعى، ليس فقط إلى تبليغها إلى المتلقي، بل إلى إقناعه بها. ذلك أن المقاصد أهم من المحتويات القضوية التي تحملها ملفوظات الخطاب.

وبما أن المقاصد ترتبط بما يقرره المتكلم في ذهنه، ثم يسعى إلى توجيه المستمع إلى إدراك ما يحمل خطابه من معاني، فإنه من الصعوبة أحيانا على المتلقي أن يفهمها كما قصد المتكلم.

لذلك، ولأهميتها في حياة الناس التخاطبية، اهتمت الفلسفة الحديثة بدراسة القصدية مع مباحث العقل والإدراك، وخصصت لها نظرية قائمة بذاتها ضمن "فلسفة العقل"، وهي "نظرية القصدية"، التي يعد فيها الفيلسوف الأمريكي "جون سيرل" من أبرز أعلامها، وهو القائل، مؤكدا على أهميتها في حياتنا اليومية: "لكي نفهم حياتنا علينا أن نفهم القصدية"[1].

وإذا كانت نشأة القصدية فلسفية، فإن أفقها سيكون- حتما- تداوليا؛ لأن البحث في مقاصد اللغة داخل الخطاب، أصبح بمثابة الموضوع الاستشرافي بالنسبة للتداولية، وبخاصة في نظرية أفعال الكلام.

وفي هذا السياق يأتي مقالنا، لإثارة بعض العناصر ومناقشتها، وذلك بعد الوقوف على عتبة الأسئلة التالية: ما القصدية؟ وما هو موضوعها؟ وما هي أنواعها؟ وما أهميتها في المبحثين الفلسفي والتداولي؟ وفيما تتمثل أهميتها بالنسبة لحياة الناس التخاطبية؟

- القصدية من فلسفة العقل إلى أفعال الكلام:

يندرج مبحث القصدية(Intentionality)، في الأصل، ضمن فلسفة العقل[*]، ويعد من أهم مباحثها الشائكة، التي تمثل إشكالا فلسفيا عميقا. إذ "قامت نظريات عديدة ومذاهب فلسفية كاملة على النظرية القصدية"[2]. وذلك راجع لتعقد مسائلها، وصعوبة دراستها والبحث فيها. لدرجة أن الفيلسوف الأمريكي جون سيرل يصفها بالمشكلة، حيث يقول في

نسخة غير قابلة للطباعة

معرض ترتيبها ضمن مشاكل فلسفة العقل، "تأتي القصدية في المرتبة الثانية تماما بعد مشكلة الوعي كمشكلة صعبة. ربما صعبة بصورة مستحيلة، في فلسفة العقل. في الحقيقة إن مشكلة القصدية نوع من صورة مرآتية لمشكلة الوعي"[3]. وإذا كانت مشكلة القصدية انعكاس مباشر لمشكلة الوعي، فهو الدليل القاطع على قوة الترابط الموجودة بينهما، لذا أدرجت المشكلتين في باب واحد من مباحث الفلسفة وهو فلسفة العقل.

مفهوم القصدية:

القصدية مشتقة من الفعل "قصد يقصد قصدا، وأصل (ق. ص. د) ومواقعها في كلام العرب كثيرة ومنها؛ الاعتزام، والتوجه، والنهوض نحو الشيء" [4].

القصد عند العرب إذن، يعني النية واعتزام فعل الشيء، أو التوجه والنهوض نحو الشيء، وهي كلها أفعال تعقد نيتها في العقل قبل انجازها.

كما توحي كلمة (القصدية) -في بعض اللغات الأوروبية- بمعنى التوجه، وهي مرتبطة دائما بـ"القصد"، بمعنى النية، مثلما أقول مثلا (إنني أقصد أو أنوي الذهاب إلى السينما الليلة). وقد دخلت كلمة القصدية إلى الفلسفة، من باب أبحاث الفلاسفة الناطقين بالألمانية[5].

ولقد "أطلق المذهب التقليدي الفلسفي على صفة التوجه للموضوعات أو الإشارة إليها والتحدث عنها اسم "القصدية" (Intentionality)، لكن المصطلح لم يكن دقيقا وأدى في معظم الحالات إلى نوع من الخلط داخل المذهب التقليدي ذاته"[6]، وهذا ما أدى بـ"جون سيرل" إلى عدم التزامه باستعمال الصفات التي ينسبها التراث الفلسفي للمصطلح، وأضفى عليه مفهومه الخاص.

فأصبحت القصدية في فلسفة "سيرل" ، ذلك "المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها، يتعلق، نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم"[7]. أو بعبارة أخرى هي :"صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها"[8].

ويتضح من خلال هذين التعريفين الحاملين لمفهوم واحد، أن القصدية:

- أولا، ذات خاصية عقلية في التمثيل. وهذا ما يبرر إدراجها ضمن فلسفة العقل.
- ثانيا، ذات خاصية التوجيه، أي توجيه الحالات العقلية من الداخل إلى العالم، أي إلى الخارج.
- ثالثا، خاصية التعلق، فهي تتعلق بموضوعات وحالات فعلية خارج ذاتها.

وعليه، يُفهم أن القصدية من حيث طبيعة حالاتها، تأتي:

- إما بوصفها توجُّها، فحين يكون للمرء قصد معين، يجب أن يكون قصدا لفعل شيء ما. وهكذا يكون الوضع في جميع الحالات؛ الاعتقاد والخوف والرغبة...الخ[9].

- وإما بوصفها تمثيلا، إذ تقوم الحالات القصدية بتمثيل الموضوعات وحالة الأشياء بالمعنى نفسه، الذي تمثل به "أفعال الكلام" الموضوعات وأحوال الأشياء، مع ملاحظة أن هذه الأفعال تكون مشتقة من القصدية وتختلف طرق تمثيلها للموضوعات عن حالات طرق الحالات القصدية[10]. ولا تنوب الكلمات عن الأشياء إلا إذا أُستعملت قصديا لكي تمثل تلك الأشياء.

نسخة غير قابلة للطباعة

وبهذه المفاهيم، يكون "سيرل" قد طور بفلسفته الجديدة، مصطلح القصدية، الذي كانت الظاهرتية قد عرفته من قبل في قصدها نحو الخارج. وتجاوز بذلك التحليل الظاهراتي سواء في شكله المفارق المتعالي، أو في شكله الوجودي، جامعا بين التركيب المنطقي والسببي، وموسعا ليشمل المعنى، والفهم، والتفكير، والتعبير عنه في اللغة.

والقصدية مصطلح لا يتعلق بالنوايا، إنما يتعلق بخاصية يتوجه فيها العقل إلى العالم خارج ذواتنا[11]: موجوداته وموضوعاته وأوضاعه وحالاته، توجها محملا بما لدينا من أفكار واعتقادات ومخاوف ورغبات عن هذا العالم، ومواقفنا منه وتعبيرنا عنه، والأشكال التي نتصوره عليها ونمثل له بها.

- القصدية بين العقل واللغة:

إن من السمات البارزة للعقل، أنه يربطنا عن طريق القصدية بالعالم الخارجي. وهذه هي ماهية القصدية، فهي الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم. وعلى غرار ذلك، تبرز حقيقة أن هناك طرقا مختلفة ترتبط بها المحتويات الخبرية (التي تعبر عنها اللغة) بالعالم، عن طريق أنماط من الحالات القصدية، وتربط الأنماط المختلفة من الحالات القصدية المحتوى الخبري بالعالم الواقعي[12]. وإذا كان ذلك كذلك، فهل معناه أن العقل يربطنا بالعالم الخارجي عن طريق القصدية بفضل اللغة؟ يجيب سيرل عن هذا السؤال في عبارة وجيزة مبينا أن المشكلة تكمن في أننا "لا نستطيع أن نفسر قصدية العقل بالاحتكام إلى قصدية اللغة، لأن اللغة تعتمد أصلا على قصدية العقل"[13]، ولذلك "لا يمكن تفسير القصدية إلا باستخدام مفاهيم قصدية"[14]، أو باستخدام لغة قصدية.

وينبه في موضع آخر، على الخلط وسوء الفهم الذي يقع فيه بعض الباحثين، قائلا: "لا أعني لشرح القصدية باستخدام اللغة القول، إن القصدية لغوية بالضرورة أو ترتبط باللغة. وإنما أجد المسألة على خلاف ذلك... حين أحاول تفسير القصدية عن طريق اللغة أعني استخدام معرفتنا الأولية باللغة كوسيلة للشرح والتفسير...وأن العلاقة المنطقية بين اللغة والقصدية على العكس تماما. إذ تُستمد اللغة من القصدية وتشتق منها وليس العكس "[15].

واللغة كغيرها من الحالات القصدية الأخرى، غير اللغوية، مثل بكاء الأطفال في حالة الجوع، أو سلوكيات بعض الحيوانات، الدالة على حالات معينة، تستمد قصديتها من العقل، أو أن العقل هو الذي يفرض قصدية عليها. وهذا يعني أن قصدية العقل أصلية وقصدية اللغة مستمدة أو مشتقة[16].

وعلى هذا، فالقصدية تتحقق في الحالات اللغوية وفي الحالات غير اللغوية، غير أنها تتحقق في الحالات اللغوية بأكثر دقة ووضوح، لأن القصد العقلي "يسهم في منح أبنية اللغة فعاليتها ونجاحها Satisfaction...وعلى هذا النحو يفرض سيرل القصد العقلي على قصد اللغة، متصورا المعنى من منظور نفسي أكثر منه معنى يتعلق بدلالة التراكيب الحرفية"[17].

- قصدية الدلالة وقصدية اللفظ:

إن اهتمام "سيرل" بقصدية العقل، لم يبعده عن الاهتمام بدراسة اللغة، بل إنه اعتمدها آلية -لا غنى له عنها- لشرح وتفسير القصدية عموما.

وقد عمد إلى تفسير القصدية العقلية، من خلال التفريق بين قصديتين لغويتين هما: قصدية الدلالة وقصدية اللفظ، مبينا أنه لا مندوحة عن فهم الأدبيات المعاصرة عن القصدية، إن لم ندرك الفرق بين قصدية الدلالة (intentionality-with- a-t) وقصدية اللفظ (intentionality-with-an-s):

فالقصدية الدلالية، هي تلك الصفة في العقل التي تمكنه من التوجه نحو، أو حول الأشياء، أو الحالات الواقعية في العالم، باستقلال عنها.

نسخة غير قابلة للطباعة

وأما القصدية اللفظية، فهي صفة تخص جملا وقضايا موجودات لغوية أخرى معينة[18].

وهذا يعني أن القصدية الدلالية تخص المعنى غير الحرفي للغة، أو (المعنى الذي يقصده المتكلم)، والقصدية اللفظية تخص المحتوى القضوي للعبارات في اللغة، أو (معنى الكلمة أو الجملة).

وتوضح "أوريكيوني" تلك المقابلة (أثناء حديثها عن الاستعارة عند سيرل) فيما يلي[19]:

(المعنى الذي يقصده المتكلم) في مقابل (معنى الكلمة أو الجملة).

(=المعنى المشتق) (=المعنى الحرفي)

يتبين، من وجهة سيرل، أن القيم الكلامية المنطوقة، تتلاءم مع البنيات التداولية التواصلية التي يسبق وجودها وجود القول، لذا يميز في الكلام بين المعنى المشتق والمعنى الحرفي، وذلك نتيجةً لانطلاقه في تفسير الظواهر اللغوية من العقل.

- قصدية المعنى:

يستعمل الكثير من الباحثين "الفعل (يعني)to mean كمرادف للفعل (يقصد) to intend، كما في الجملة (أنا أعني أن أزورك غدا). واستنتج بعضهم من هذا الاستعمال، أن معنى الجملة يتم تحليله في حدود قصد المتكلم أو الكاتب"[20]، وهذا ما حدا أيضا بالباحثة "أوريكيوني"، إلى نفي وجود المعنى في حال لم يكن منسوبا إلى شيء ما، ذلك أن القول لا يكون له معنى في ذاته[21]، وإنما يتحدد بالقصد الذي يرمي إليه المتكلم. وكذلك هو رأي الفيلسوف "جون سيرل".

حيث اهتم "سيرل" بالمعنى الذي يقصده المتكلم، على حساب اللفظ الحامل للمحتوى القضوي، لأن معنى الجملة يتحدد بمعاني الكلمات والترتيب النحوي للكلمة في الجملة. غير أن ما يعنيه المتكلم بمنطوق الجملة يعتمد، ضمن حدود معينة، على مقاصده...وهكذا فبرغم من أن اللغة تمارس الإكراه على معنى المتكلم، إلا أن معنى المتكلم يبقى الصورة الأولية للمعنى اللغوي، ذلك أن المعنى اللغوي للجمل يؤدي وظيفة تمكين متكلمي اللغة من استعمال الجمل لكي يعنوا بها شيئا في المنطوقات. ومعنى منطوق المتكلم هو الفكرة الأولية عن المعنى لأغراضنا في تحليل وظائف اللغة[22].

وإن غاية قصد المتكلم هي إفهام المتلقي، ويُشترط ليعبر المتكلم عن القصد الذي يبلغه أن يمتلك اللغة في مستوياتها اللفظية والدلالية، وذلك بمعرفته للعلاقة بين الدوال والمدلولات، وكذلك بمعرفته لقواعد تركيبها وسياقات استعمالها، ولا يقف دور القصد عند إيجاد العلاقة الدلالية في العلامة اللغوية بين الدال والمدلول، بل يمتد إلى استعمالها في الخطاب[23].

ويرتبط المعنى اللغوي عند سيرل بقصدية مشتقة من الكلام المنطوق، وتعبر القصدية الأصيلة عن المعنى الموجود داخل فكر المتكلم، ويكمن المفتاح لفهم المعنى فيما يلي: "المعنى هو شكل قصدية مشتقة. والقصدية الأصيلة أو الداخلية في فكر المتكلم تتحول إلى كلمات وجمل وعلامات ورموز...الخ. إذا ما أُحسِن النطق بهذه الكلمات والجمل والعلامات والرموز، بحيث تكون ذات معنى، فإنها تنطوي على قصدية مشتقة من أفكار المتكلم. فهي لا تنطوي على مجرد معنى لغوي تقليدي فحسب، بل على معنى يقصده المتكلم أيضا. ويمكن للمتكلم أن يستعمل القصدية التقليدية للكلمات والجمل في اللغة لتأدية فعل كلامي. وحين يؤدي المتكلم فعلا كلاميا، فإنه يفرض قصديته على الرموز"[24].

يلاحظ مما تقدم، أن سيرل يرُدّ المعنى كمفهوم قصدي، إلى إرادة المتكلم وليس إلى سلطة اللغة، فالمعاني يمكن أن تظهر على سطح اللغة، لكن مقاصدها تبقى في ذهن المتكلم. وعليه فالمتكلم هو الذي يفرض مقاصده على اللغة.

نسخة غير قابلة للطباعة

- القصدية الفردية والقصدية الجماعية:

إن ما سلف من حديث عن القصدية، هو حديث عن نوع واحد منها، يُشار إليه بالتعبير (أقصد)، أو(أعتقد)، أو(أرجو) إلى غير ذلك، وهو القصدية الفردية أو "قصدية الأنا". وهناك نوع آخر من القصدية يُشار إليه بصيغة الجمع، (نقصد) أو (نعتقد) أو (نرجو)، وهو القصدية الجمعية أو "قصدية النحن".

والقصدية الفردية متضمنة-في الوقت نفسه- في القصدية الجمعية. يقول سيرل: "إذا كان لديّ (نقصد) فيجب أن يكون لديّ أيضا (أقصد)، لأنني إذا كنت أقوم بشيء قصديا كجزء من قيامنا بالشيء، فيجب أن أقصد القيام بدوري فيه. ولكي أقصد القيام بدوري، يجب أن أقصد القيام بشيء هو جزء من قيامنا بالشيء. هكذا مثلا، إذا كنا ندفع سيارة لكي نشغِّلها، فيجب أن يكون لدي القصد في أنني سأقوم بدوري"[25]، ضمن الجماعة التي أتعاون معها في دفع السيارة.

وهذا يدل على أن للبشر القدرة على القصد العقلي، والتوجه توجها جماعيا نحو فهم الأشياء، وتمثلها، والتعبير عنها، وهذا لا يعني أن جماعة الناس يتعاونون في التعايش فحسب، بل إنهم يتشاركون في حالات من القصد العقلي؛ من مثل المعتقدات والرغبات والمقاصد، ومن أوضح الأمثلة على ذلك، "أني أفعل شيئا في إطار كوننا نفعل ذلك الشيء، فلو أني حارس خط الهجوم في مباراة كرة قدم، فقد أغلق ثغرات الدفاع، لكنني أفعل ذلك بوصفي جزءا من تنفيذ لعبة هجوم. ولو أني عازف فيولينا (الكمان) في أوركسترا، فإني أعزف الجزء الخاص بي في إطار العزف السيمفوني للأوركسترا..."[26].

وما يصح على الأوركسترا يصح على فريق كرة القدم، وعلى الحشد في سباق سياسي، وعلى شخصين يرقصان معا رقصة واحدة، وعلى طاقم بناء يُشيّد بيتا. ويستخدم سيرل تعبير الواقعة الاجتماعية "للإشارة إلى أي واقعة تستدعي وجود قصد العقل الجماعي، لذلك يُعد خروج اثنين للتريض معا واقعة اجتماعية، ذلك أن الوقائع المرتبطة بالمؤسسة تعد نوعا خاصا من أنواع الوقائع الاجتماعية، وهي ترتبط بوجود مؤسسات إنسانية"[27].

وإذا عُرِّفت الواقعة الاجتماعية، على أنها أية فعالية تضم فاعلَين، أو أكثر، لديهما قصدية جمعية، فإن الحيوانات التي تصطاد معا، مثلا، أو الطيور التي تتعاون في بناء عشها، وما يسمى افتراضا بالحشرات الاجتماعية، كالنمل والنحل، تكشف- أيضا- عن قصدية جمعية، وبالتالي عن توفرها على وقائع اجتماعية. غير أن للكائنات البشرية قدرة مميزة، تمكنها من تخطي الوقائع الاجتماعية المجردة إلى الوقائع المؤسساتية، لأن البشر ينخرطون في أكثر من مجرد تعاون فيزيائي بحت، فهم يتواصلون بالكلام وبغيره، ويمتلكون الأشياء، ويتزوجون، ويشكلون الحكومات، وغير ذلك من الوقائع المؤسساتية[28].

إذن القصدية نوعان:

- قصدية فردية، خاصة بالفرد وما ينتج عنه من حالات قصدية لغوية وغير لغوية، مثل الرغبة والخوف والاعتقاد وأفعال الكلام...الخ.

- وقصدية جماعية، خاصة بالجماعة (اثنين أو أكثر) تنتج إثر تعاونهم، أو تشاركهم في واقعة اجتماعية.

وكلتا القصديتين تتشكلان في العقل الذي يربطهما بالواقع، أو بالعالم الخارجي.

- قصدية الأفعال الكلامية:تعد المقاصد محور العملية التواصلية، ومركزا في التفريق بين المعنى الحرفي (معنى الكلمات في الملفوظ)، وبين المعنى التواصلي، أي النتيجة التي يقصد المتكلم نقلها إلى المتلقي؛ فالمعاني لا تكمن في الوحدات اللغوية المستعملة، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الوحدات ويوظفها من أجل تحقيق مقاصده[29]، أو من أجل توليد فهم لدى المتلقي.

نسخة غير قابلة للطباعة

والمتكلم حينما يقصد التواصل، فإنه يقصد أن يُولِّد فهما، ذلك الفهم الكامن في قبضة المعنى. وبهذا الفعل يكون "قصد الاتصال هو القصد الذي يتعرف فيه المستمع إلى معناي، أي أنه يفهمني"[30]. فما هو القصد من التواصل؟ وكيف يتم في أفعال الكلام؟.

للإجابة عن السؤال الأول يعود جون سيرل إلى أفكار بول غرايس، حيث يقول "لقد رأى غرايس مصيبا أننا حين نتصل بالناس، فنحن نفلح في توليد فهم لديهم بجعلهم يتعرفون على قصدنا في توليد ذلك الفهم"[31]. خاصة إذا استوفى ذلك التواصل جميع شروط الفهم والإفهام، أو ما يصطلح عليه بعض الباحثين بـ ""التواصل الأمثل"،... الضامن لتبليغ القصد والفحوى بأوضح وسائل التعبير"[32].

وهذا يعني أنه بفضل التواصل، يتحقق لدى المتلقي فهم لم يكن يمتلكه قبل ذلك، وهذا الفهم يُيسِّر بدوره عملية الوصول إلى معرفة مقاصد المتكلم الكامنة في ذهنه.

وعليه فإن القصد التواصلي -حسب سيرل- "هو قصد أن أولد لدى المستمع المعرفة بمعناي بجعله يتعرف على قصدي في توليد تلك المعرفة عنده"[33].

يتركز -إذن- هَمُّ سيرل في تعريفه للقصد التواصلي، على تمكين المتلقي من توليد معرفة أو فهم، يعطيه القدرة على الوصول إلى مقاصد المتكلم.

ويوضح سيرل هذا المفهوم ببسطه لملفوظ من اللغة الألمانية، ثم يبين المقصد من نطقه أو التواصل به، حيث يقول: وهكذا ففي متابعة خطوات ملفوظ (Es regent)، (إنها تمطر)، فإن معنى المتكلم لديَّ وقصد اتصالي يعنيان ما يأتي:

أنطق جملة(Es regent) بالمقاصد التالية:

1- يجب أن أنطق الجملة الألمانية نطقا صحيحا بمعناها التقليدي،

2- يجب أن ينطوي منطوقي على شروط نجاح، وهي تحديدا، شرط الصدق في كونها تمطر حقا،

3- يجب أن يتعرف المتلقي على القصد2، ويجب أن يتعرف على القصد 2 عن طريق تعرفه على القصد 1 ومعرفته بأعراف اللغة الألمانية.

إذا تعرَّف المتلقي على القصد 1 والقصد 2، فسأفلح في تحقيق القصد 3. وهذا يعني أن المتلقي إذا كان يعرف اللغة، وتعرَّف على قصدي في توليد جملة في اللغة، وتعرَّف أنني لا أحاول مجرد النطق بتلك الجملة، بل إنني أعني ما أقوله أيضا، سأكون قد أفلحت في توصيلي للمتلقي أنها تمطر[34]. أي إنني قمت بفعل كلامي، يتمثل في إخبار المتلقي بخبر يتطابق مع ما هو موجود في الواقع.

ويمكن مما تقدم، أن نستخرج القصد التواصلي في أفعال الكلام، كما يلي:

1- قصد التلفظ: أي أن المتكلم قَصَد عملية التلفظ، أو قَصَد النطق بجملة ما، سواء أكان يعني ما يقول أم لا يعنيه؛ لأنه حينما يتلفظ بقول ما دون أن يعنيه، فهو فقط أراد أن يتسبب قصده بوجود ملفوظ من نوع ما، نوع يتوافق مع قواعد التلفظ في اللغة المتلفظ بها. يقول سيرل موضحا: "افترضوا أنني كثيرا ما أردد هذا القول تحت رشاش الماء في الحمام، أو حين أتجول في الأيام الممطرة: (Es regent, es regent, es regent). في مثل هذه الحالة، لا أفعل شيئا سوى ممارسة التعلم على التلفظ بالألمانية، وأنا لا أعني في الحقيقة أنها تمطر"[35].

2- قصد المعنى: أي إن المتكلم لا يقصد فقط عملية التلفظ، بنطق ملفوظ ما، بل يجب أن يعني ما يقول، أي أن يحمل الملفوظ معنىً، ويكون الملفوظ صادقا أو زائفا، بالاستناد إلى ما إذا كان العالم يتطابق مع ما يمثله المتكلم قصديا حين يصدر

نسخة غير قابلة للطباعة

الملفوظ. يقول سيرل موضحا هذا النوع من القصد: "افترضوا أنني تعلمت قليلا من الألمانية فعلا، وأن شخصا ما سألني سؤالا أعرف أنه يعني (كيف الجو اليوم؟)(Wie ist das watter haute?). أجيبه: (Es regent) . الآن لدي القصد السابق بعينه في أن أولد منطوق جملة ألمانية، ولكن لديّ أيضا قصد معنى...قصد المعنى هو في حقيقته الحالة التي يجب أن تمطر فيها حين أنطق بجملة (Es regent)"[36].

3- قصد التواصل: إذا كان المتكلم يقصد التواصل بمتلق ما، فيجب أن يكون لديه طرف ثالث لقصده في أداء الفعل الكلامي، وهو القصد المتمثل في أن المتلقي يجب أن يفهم مما يقوله (إنها تمطر)، غير أن هذا القصد الثالث الذي يسميه سيرل "القصد التواصلي" يجب أن يكون قصدا يتعرف عليه المتلقي في القصدين الأولين، وشروط إنجاح قصد التواصل هي أن المتلقي يجب أن يعرف أن المتكلم نطق بالجملة قصديا، وأن الجملة تمتلك شروط النجاح (الصدق والمطابقة) التي فرضها المتكلم قصديا عليها[37]. وهذا يعني أن "نتيجة انجاز قوة فعل الكلام ليست عبارة ملفوظة بل حالة مقصودة أَحدَثها وأَوقَعَها فَهْم العبارة من لدن المخاطَب حيث أن ما تتضمنه هذه الحالة من تَغيُّر هو حالة معرفية إبيستيمية: إذ صار المخاطَب يعرف في الوقت الراهن أن المتكلم يَعِدُ ويَنصَح...بأن (...). ونقول في هذه الحالة بأن انجاز قوة فعل الكلام ناجح بالنسبة لي أنا نجاحا كاملا. ويكون نجاحا جزئيا إذا كان المخاطَب قد فشل في فهم مقاصد قوة فعل الكلام الذي يلقيه المتكلم"[38]، وعليه فإن قوة الفعل الانجازي لن تتحقق إلا إذا ضَمّن المتكلم فعله الكلامي قصدا بعينه، يريد من خلاله أن يُولد فهما معينا لدى المتلقي. ولن يكون الفعل الكلامي انجازيا إلا إذا كان قصديا.

خلاصة:

إن الحديث عن القصدية في فلسفة العقل، ومحاولة ربطها بفلسفة اللغة، ومن ثمة بالتداولية، ليس بالشيء الهيِّن؛ لأنه موضوع معقد، ومستغلق حتى على أهل الاختصاص.

يقول جون سيرل -في خاتمة فصل (القصدية) في كتابه (العقل مدخل موجز)، منبِّها قرَّاءَه على أن يصيبهم غرور الفهم بعد قراءة ذلك الفصل- "لا أريدكم أن تكوِّنوا الانطباع بعد قراءة هذا الفصل، أنكم الآن تفهمون القصدية. إن كل ما فعلته هو خدش سطح موضوع كبير جدا. ولكن أريد منكم في الحقيقة تكوين تصور شامل للقصدية كتمثيل، وبكل تأكيد أريدكم أن تنجحوا في تجنب أخطاء شائعة في الفلسفة المعاصرة"[39].

وقد حاولت هذه الدراسة بدورها، أن تكشف النقاب عن أهمية القصدية في فلسفة العقل، ومدى إمكانية توظيف بعض مفاهيمها وأفكارها في الدرس التداولي، ومن ثمة الاستفادة منها في تحليل بعض المقولات الخطابية، وبخاصة أفعال الكلام.

كما تجدر الإشارة، إلى أن اقتصار هذه الدراسة على عرض ما جاء عند سيرل، لا ينفي جهود باحثين آخرين اهتموا بدراسة النظرية القصدية، فلاسفة ولغويين وأصوليين، قديما وحديثا، غربيين وعرب. كما لا ينفي وجود وجهات نظر أخرى (فلسفية ولغوية وأصولية) مخالفة لآراء سيرل.

وعليه، نقول، إن موضوع القصدية معقد ومتشعب، يصدر عن تفسيرات عقلية ولغوية، اهتمت بدراسته تخصصات معرفية متنوعة، لها علاقة بتحليل الظواهر العقلية واللغوية، وما ينتج عنها من أفعال ووقائع اجتماعية.

ويبقى الفيلسوف جون سيرل من أبرز الفلاسفة في هذا العصر، وفي العصور التي سبقته، انشغالا بالقصدية، تفكيرا، وتأليفا، واحتجاجا لآرائه المخالفة للتقاليد الفلسفية السابقة. كما يعد من أهم الفلاسفة الذين منحوا القصدية بعدا تداوليا، من خلال اهتمامه بقدرة العقل على تمثيل الواقع، ومحاولة إجابته عن جملة من الأسئلة، أهمها: كيف يهب العقل -مثلا- الأصواتَ معانيَ، ومن ثمة تصبح صالحة للتواصل بين بني البشر؟ وكيف يربط المعنى اللغةَ بالواقع؟ وكيف يُحول المعنى

نسخة غير قابلة للطباعة

الملفوظات المجردة إلى أفعال إنجازية؟ وكيف يتكون المعنى في ذهن المتكلم؟ وما الذي يمكّن المتلقي من فهم قصد المتكلم؟ وهل القصدية تكمن في اللغة أم في عقل المتكلم؟.

- الهوامش والاحالات:

[1]- جون سيرل: العقل، مدخل موجز. ترجمة ميشيل حنا ميتاس، عالم المعرفة، العدد 343، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007، 141.

*- يحدد جون سيرل "فلسفة العقل" في قوله: " فنظرية العقل التي حاولت أن أبلورها، هي بقدر ما، محاولة للإجابة عن السؤال عن الطريقة التي تتسق بها الصورة الذهنية لعالم الواقع-أي عالم العقل والقصدية intentionality، وغيرها من الظواهر العقلية- داخل عالم يتألف من جسيمات مادية مترابطة تدور حول حقول الطاقة". بناء الواقع الاجتماعي، من الطبيعة إلى الثقافة. ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع ومراجعة إسحاق عبيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة- مصر. 2012، ص 29.

[2]- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل. ترجمة أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 2009. ص 16.

[3]- جون سيرل: العقل، مدخل موجز. ترجمة ميشيل حنا ميتاس، عالم المعرفة، العدد 343، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007، ص130.

[4]- أحمد كروم: مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي. كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ط1، عمان- الأردن. 2015. ص 15.

[5]- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي. ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان. ط1، 2006. ص 129.

[6]- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 21.

[7] - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...128.

[8] - جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل 21.

[9] - انظر جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل 21 .

10-انظر جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 25 .

11- انظر جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي، من الطبيعة إلى الثقافة. ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع...ص 10 مقدمة المترجمة.

12 - انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...151.

13- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...136.

14 - جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 50.

15- جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل... 26.

16- انظر جون سيرل: العقل، مدخل موجز... 132.

17- جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي، من الطبيعة إلى الثقافة. ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع...ص 11 مقدمة المترجمة.

نسخة غير قابلة للطباعة

18- انظر جون سيرل: العقل، مدخل موجز... 143.

19- انظر أوريكيوني: المضمر... 564.

20- صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد. دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، بيرو- لبنان، 1993، 279.

21- انظر أوريكيوني: المضمر... 556.

22 - انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...206 و207.

23- انظر عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب... 183.

24- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...208.

25- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 174.

26- جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي... 55.

27- جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي... 58.

28- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 178. 179.

29- انظر مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني... 105.

30- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي...213.

31- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 212.

32 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة- الجزائر، 2012، ص 119.

33- جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع... 213

34 - انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع...ص 213- 214.

35 جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع...ص 210.

36 - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع...ص 210.

37- انظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع...ص 209.

38 - فان دايك النص والسياق... 266 و267.

39- جون سيرل: العقل، مدخل موجز...155.

نسخة غير قابلة للطباعة